أعتـــذر إليك ..!

الأستاذ محمود محمد شاكر

أكتب هـذه الكلمة محزون النفس لشيء اجترمته ، كان أولى بي أن أصبر حتى لا أزل عليه . وذلك أني قرأت كلمة في بعض المجلات يقول فيها كاتبها : « فإذا منع الفقير حقه ، فله أن يقاتل عليه ، لأن الله يأمر بقتال الباغين « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقـاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » . ولا شك أن مانع الحق باغ » فاحتملتني العجلة وسوء الظن ، أن أرى الكاتب قد استدل بالآية في غير مكان الاستدلال بها . فساء قولي في الرجل بين جماعات من النـاس ، إذ لم يقع لي إلا أن الآية في اقتتال طائفتين من المؤمنين ثم بغي إحدى الطائفتين على الأخرى . ولما سكن بي الليل أمس (السبت ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١) حاك في قلبي شيء لم أدر ماهو ، وألح علي أني اكتسبت في أيامي هذه إثما أخشى أن لا أفلت من عقابه . وارتفعت لعيني هـذه الآية بختامها « إن الله يحب المقسطين » ، فرأيت من العـدل والقسط أن أرجع إلى تفسيرها ، وإلى أقوال الأئمة في قتال أهل البغي ، فعرفت مالم أكن أعرف ، أن بعضهم قد استدل بها في مثل ما استدل عليه الكاتب الفاضل ، وإن كان الطريقة الاستدلال عندهم نهج غير نهجه ، وقيد فيما أطلقه . وإذا أنا قد ظلمته ظلما لا ينبغي . فلم أزل منـذ تلك الساعة أستغفر الله لما فرط مني وما جرى من لساني من الكلام السيء ، واستغفرت له بما أسأت إليه بظهر الغيب

فلما قرأت الرسالة في صباح ليلتي (الأحـد ١٣ جمادى الآخرة) ، كنت أوشك أن لا أحـمل القلم مرة أخرى للرد على الكاتب الفاضل في مقاله : « أجل..ذو العقل يشقى » . ولكني وجـدت السبيل قد تيسر لي أن أعتذر من سيئة اكتسبتها في الإساءة إلى رجل بظهر الغيب ، لنفس الداء الذي نهيت الأستاذ عنه ، وهو العجلة . وأنا لم أقصد نهيته إلا لما فيه خير له ولي إن شاء الله

وقد تبين لي بعد قراءة كلمته أني أخطأت أيضا في الذي كتبت به إليه ، فوقفت بما كتبت في نفس ما نهيته عنه . وما كان أغناني عن هـذه الخصلة السيئة التي تجلب على نفسي أستاذ فاضل ، لم أسمع به ولم أعرفه ، ولا أظنه يعرفني . والأستاذ الفاضل بلا ريب هو عندي أكبر مما ظن في نفسه ، وإذا كان هو قادراً على أن يضن بكرامته ، فالواجب علي أنا من قبله أن أضن بكرامته . وإذا كانت كرامته تأبى أن تنزل منـزلة يوجـه إليه من أجلها شيء يقدح فيها ، فأنا أيضـا أنزهه عما ظن في كلامي من « الشتائم والتنقص والسباب » . وإذا كان كلامي الطويل العريض ، كما وصف ، ليس فيـه شيء يقنع المنصفين ، وليس هو إلا فقرات مبعثرة مضطربة أسوقها مسـاقاً مهلهلا لا يعرف الدقة ولا الحدود ، وإذا كان كل ما أقوله لا أبغي منه إلا إرسال الكلام في الهواء ، وإذا كنت عنده لست مؤرخا ، ولم أخط كتابا في التاريخ ، وأني أدخلت نفسي في قوم لست منهم ، فأظن أن واجبه على الأقل أن يلغي كل ما أقول جملة ، فإن من الشقاء له أن يتعقب كلام كاتب هذا شأنه

وأنا لا أستطيع صادقا أن أفهم الأستـاذ الفاضل شيئا مما أقول ، فقد عرفت هذا بالتجربة . وإذا كان مما يرضيه أن أقول له إني مخطيء في كل ما قلت قديما ، وما أقوله الآن ، وما سوف أقوله إلى أن يكف لساني وقلمي من اللجاجة وإرسال الكلام ، فأنا أقول له : إني أخطأت ، وسوف أخطيء ، ولن يسمع مني إلا ما أنا مقر على نفسي بأنه خطأ محض . وأزيده أني عاجز كل العجز عن مقاومة حجته ، وعن دفع براهينه ، وعن التصدي لما يحسنه من العلم . بيد أني أعود فأسأله أن يتعمد سوء أدبي بفضله ، وإذا كان قد استخرج من كلامي سبابا وشتائم ، فأنا أعيذه أن يكون غرضا لها ، وأعتذر إليه ، وأستغفر الله مما أزلفت إليه من إساءة ، وله أحسن الأسوة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن بعض السفهاء لم يتورعوا قط عن سبهم والطعن فيهم ، بأقبح اللفظ . فأين يقع مثلي من هؤلاء ! فإني مهما ملكت من السباب والشتائم والبذاءة وسوء الأدب ، فلن أبلغ بعض ما بلغوا من هؤلاء الصحابة ، فلا عليه مني ومن